

# النور

لفضيلة الدكتور/ مسفر بن سعيد الغامدي

## المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ١ .

## عَظِيمًا ﴿٧٠﴾<sup>(١)</sup>.

لما للنور من أهمية في حياة العباد ، بل لجميع المخلوقات ، ولأن الحياة لا يمكن أن تستمر من دون النور ، ولأن الله سمي نفسه نوراً ، ووصف نفسه بالنور ، وجعل نور مخلوقاته من نوره وجعل كتابه نوراً ، ونبيه نوراً ، ودينه نوراً ، وصلاته نوراً ، وجعل في قلوب أوليائه نوراً ، وجعل دار كرامته نوراً ، وحرّم أعداءه النور ، لهذا ولغيره كان هذا البحث المتواضع ؛ إن أحسنت فمن الله ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة وسأرجع عن كل ما أخطأت فيه إذا تبين لي الحق والصواب ، أسأل الله العلي العظيم أن يجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وأن يجعل لي نوراً ، وأن يعظم لي نوراً ، وأن يمتعني برؤية نور وجهه الكريم الذي أشرق له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ؛ آمين .

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١ .

## تعريف النور :

يُعرّف النور على أوجه :

أحدها: يكون بمعنى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾<sup>(١)</sup>، يعني: دينه، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثانيها : يكون بمعنى الإيمان الذي يهتدى به، قال الله تعالى :  
﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثالثها : يكون بمعنى هادي أهل السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.

رابعها : يكون بمعنى ضوء النهار، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾<sup>(٥)</sup>.

خامسها : يكون بمعنى ضوء القمر، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢ .

(٢) سورة الصف، الآية ٨ .

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٨ .

(٤) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ١ .

(٦) سورة نوح، الآية ١٦ .

سادسها: يكون بمعنى الضوء الذي يعطيه الله للمؤمنين يمشون به على الصراط يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

سابعها: يكون بمعنى الحلال والحرام والأحكام والمواظ التي وردت في التوراة، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثامنها: يكون بمعنى القرآن، وما فيه من بيان الحلال والحرام والأمر والنهي قال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾<sup>(٤)</sup> .

تاسعها: يكون بمعنى النبي ، ورد في صفته صلى الله عليه وسلم ( أنور المتجرد ) أي نير لون الجسم . يقال للحسن المشرق اللون : أنور، يقال : أنار فهو منير .

عاشرها: يكون بمعنى (( الرب )) قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾<sup>(٥) (٦)</sup> .

(١) سورة الحديد، الآية ١٢ .

(٢) سورة التحريم، الآية ٨ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤ .

(٤) سورة التغابن، الآية ٨ .

(٥) سورة الزمر، الآية ٦٩ .

(٦) كشف السرائر في معنى الوجوه، والأشباه والنظائر، لابن العماد ط مؤسسة شباب الجامعة، لسان العرب لابن منظور، ج ٥ ص ٢٤٠، ٢٤١، النهاية لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٤ .

والنور: اسم من أسماء الله الحسنى قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

وهو الذي يُبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو الغواية،  
وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور. فالظاهر في نفسه المظهر  
لغيره يسمى نُورا.

وفي حديث أبي ذر (قال له ابن شقيق: لو رأيتُ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كنتُ أسأله: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: قد  
سألته، فقال: (نورٌ أتى أراه؟) أى هو نُورٌ كيف أراه<sup>(٢)</sup>).

وفي حديث الدعاء (اللهم اجعل في قلبي نوراً) وباقي  
أعضائه<sup>(٣)</sup>، أراد ضياء الحق وبيانه كأنه قال: اللهم استعمل هذه  
الأعضاء منِّي في الحق، واجعل تصرفي وتقليبي فيها على سبيل  
الصواب والخير<sup>(٤)</sup>.

والنُّور: من صفات الله عز وجل قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢) انظر شرح النووي على مسلم، (باب ما جاء في رؤية الله عز وجل، من  
كتاب الإيمان) ج ٣ ص ١٢.

(٣) صحيح مسلم، باب الدعاء في صلاة الليل، كتاب صلاة المسافرين  
وقصرها ج ١ ص ٥٣٠.

(٤) النهاية لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٤، ١٢٥.

الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ ۖ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : هَادِي أَهْلَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، وَقِيلَ : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ أَي : مَثَلُ  
نور هداه في قلب المؤمن .

والنور : الضياء، والنور : ضد الظلمة، وفي المحكم : النور :  
الضوء، أيأ كان . وقيل : هو شعاعه وسطوعه .

والجمع : أنوار، ونيران، والمنار والمنارة : موضع النور .<sup>(١)</sup>  
والنور: هو الهادي، وقيل : المنور، وقيل : هو الحق، وقيل : هو  
الذي لا يخفى على أوليائه<sup>(٢)</sup> ..

وقال ابن القيم : والله سبحانه وتعالى سَمَّى نفسه نوراً، وجعل  
كتابه نوراً، ورسوله صلى الله عليه وسلم نوراً، ودينه نوراً،  
 واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً يتلأأ قال الله  
تعالى : ﴿ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ  
شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ  
تَمْسَسْهُ نَارٌ ۖ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۖ وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٢٤٠، ٢٤١ .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ٢٠ .

(٣) سورة النور، الآية ٣٥ .

وقد فسر قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>٤</sup> بكونه منور السماوات والأرض، وهادي أهل السماوات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السماوات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور، الذي هو أحد الأسماء الحسنی، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين : إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله... ثم قال: وفي معجم الطبراني، والسنة له، وكتاب عثمان الدارمي وغيرها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار، ونور السماوات والأرض من نور وجهه ) .

وهذا الذي قاله ابن مسعود أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السماوات والأرض ، وأما من فسرها بأنه منور السماوات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود .  
والحق أنه نور السماوات والأرض بهذه الاعتبارات كلها <sup>(١)</sup>.

### الفصل الأول : الله سمي نفسه نوراً

قال الله تعالى : ﴿ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ط ١٤٠١ هـ .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

قال ابن كثير : قال ابن عباس : هادي أهل السماوات والأرض ، ومدبر الأمر فيهما ، نجومهما ، وشمسهما ، وقمرهما .  
وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقال السدي : فبنوره أضاءت السماوات والأرض (٢).

وقال القرطبي : " واختلف العلماء في تأويل هذه الآية ؛ ف قيل : المعنى أي به وبقدرته أنارت أضواؤها ، واستقامت أمورها ، وقامت مصنوعاتها... وهو الذي أبدع الموجودات ، وخلق العقل نوراً هادياً ؛ لأن ظهور الموجود به حصل بالضوء ظهور المبصرات ، تبارك الله وتعالى لا ربّ غيره . قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما .  
وقال ابن عرفة : أي منور السماوات والأرض . كذا قال : الضحاك والقرطبي .

وقال مجاهد : مدبر الأمور في السماوات والأرض .

وقال أبيّ بن كعب والحسن وأبو العالية : مزين السماوات بالشمس والقمر والنجوم ، ومُزِين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين . وقال ابن عباس وأنس : المعنى الله هادي أهل السماوات

(١) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٦٠ ، ٦١ .



والأرض. والأول أعم للمعاني وأصح مع التأويل <sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه يوم آذاه أهل الطائف: (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك، أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) <sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري بسنده من حديث ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : (( اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد.. )) الحديث <sup>(٣)</sup>.

قال ابن تيمية : النص في كتاب الله وسنة رسوله قد سمي الله نور السماوات والأرض، وقد أخبر النص أن الله نور، وأخبر أيضاً أنه يحتجب بالنور؛ فهذه ثلاثة أنوار في النص وقد تقدم الأول .

وأما الثاني : فهو في قوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ وفي قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ وفيما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله خلق

(١) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

خلقه في ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل )) . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعاء الطائف: (( أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك، أو يحل عليّ غضبك )) رواه الطبراني وغيره. ومنه قول ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السماوات من نور وجهه <sup>(١)</sup>.

ومنه قوله : فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: (( إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه )) فهذا الحديث فيه ذكر حجاب.

فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلم بها موسى يقال لها نار ونور، كما سمي الله نار المصباح نوراً، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم فتلك لا تسمى نوراً .

فالأقسام ثلاثة : (( إشراق بلا إحراق )) وهو النور المحض

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

النور \_\_\_\_\_ د. مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي

كالقمر . و (( إحراق بلا إشراق )) وهي النار المظلمة . و (( ما هو نار ونور )) كالشمس ، ونار المصاييح التي في الدنيا توصف بالأميرين؛ وإذا كان كذلك صح أن يكون نور السماوات والأرض، وأن يضاف إليه النور، وليس المضاف هو عين المضاف إليه .

وقد أخبر الله في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره كيف لا يكون هو نوراً ؟ ولا يجوز أن يكون هذا النور المضاف إليه إضافة خلق وملك واصطفاء - كقوله: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ ونحو ذلك - لوجوه :

أحدها : أن النور لم يضاف قط إلى الله إذا كان صفة لأعيان قائمة، فلا يقال في المصاييح التي في الدنيا: أنها نور الله، ولا في الشمس والقمر، وإنما يقال كما قال عبد الله بن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماوات من نور وجهه . وفي الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم : (( أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة )) .

الثاني : أن الأنوار المخلوقة كالشمس والقمر تشرق لها الأرض في الدنيا، وليس من نور إلا وهو خلق من خلق الله، وكذلك من قال: منور السماوات والأرض لا ينافي أنه نور، وكل منور نور،

فهما متلازمان .

ثم إن الله تعالى ضرب مثل نوره الذي في قلوب المؤمنين بالنور الذي في المصباح، وهو في نفسه نور، وهو منور لغيره، فإذا كان نوره في القلوب هو نور، وهو منور، فهو في نفسه أحق بذلك، وقد علم أن كل ما هو نور فهو منور<sup>(١)</sup>.

وقد قرر ابن تيمية وابن القيم والمحققون من أهل الحديث وأئمة السنة : أنه نور على الحقيقة، بل ذكر ابن تيمية أن الجهمية والمعتزلة أثبتا أنه نور ثم قال ابن تيمية : وأول هؤلاء المؤمنين بالله وبأسمائه وصفاته، رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال الذي عارض به المعارض فقال صلى الله عليه وسلم : (( حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه )) فأخبر أنه حجب عن المخلوقات بحجاب النور أن تدركها سبحات وجهه، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه، فهذا الحجاب عن إحراق السبحات يبين ما يرد في هذا المقام .

فقد تبين أن جميع ما ذكر من الأقوال يرجع إلى معنيين من معاني كونه نور السماوات والأرض، وليس في ذلك دلالة على أنه

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٩٢ .

في نفسه ليس بنور<sup>(١)</sup>.

ونخلص إلى أن المحققين من أهل السنة والجماعة أثبتوا أن الله سبحانه وتعالى: في نفسه نور، وسمى نفسه نوراً، وصفته النور، ومنه النور، والمنور لغيره هو: نور، وكل ذلك - كما تقدم - ثابت في الكتاب، والسنة، وأقوال الأئمة؛ فهو نور، لكنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهو نور لا كالنور المخلوق، نور يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، نور يليق بالخالق، ومختلف عن نور المخلوق الذي هو خالقه سبحانه، والذي أخبرنا بهذا هو سبحانه، وأخبرنا بذلك رسوله الذي هو أعلم خلقه به .

### الفصل الثاني: احتجب سبحانه عن خلقه بالنور

قال مسلم: باب في قوله عليه السلام: (( نور أنى أراه ))، وفي قوله: (( رأيت نوراً )) .

وأخرج بسنده من حديث أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟

قال: (( نُورٌ أنى أراه )) وفي الرواية الآخرة: (( رأيت نوراً ))<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٩٦ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ج ١ ص ١٦١، ١٦٢ رقم الحديث ٢٩١، =

وأخرج أيضاً من حديث أبي موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : (( إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ( وفي رواية أبي بكر : النار ) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ))<sup>(١)</sup>.

قال النووي : ... ومعناه حجابه نور فكيف أراه، قال الإمام أبو عبد الله المازري : الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى، ومعناه : أن النور منعي من الرؤية ...

وقوله : (( رأيت نوراً )) معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره...<sup>(٢)</sup>.

ثم قال :... معنى (( سبحات وجهه )) : نوره وجلاله وبهاؤه...<sup>(٣)</sup>.

قال ابن تيمية :... فأخبر أنه حجب عن المخلوقات بحجابه

= ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٢ رقم الحديث ٢٩١

٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

النور أن تدركها سبحات وجهه ، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه، فهذا الحجاب عن إحراق السبحات يبين ما يرد في هذا المقام <sup>(١)</sup> .

وقال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه . قال : ويدل عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك ؟ فقال: (( رأيت نوراً ))...، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر : (( حجاب النور )) فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه (( رأيت نوراً )) <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن حجر :... وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره النور، أي النور حال بين رؤيته له ببصره <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية : ...فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر (( رأيت نوراً )) : أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله (( نوراً أنى أراه ؟ )) أي فكيف أراه

---

(١) مجموع الفتوى ج ٦ ص ٣٩٦ .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧ .

(٣) فتح الباري ج ٨ ص ٦٠٨ .

والنور حجاب بيبي وبينه يمنعني من رؤيته ؟ فهذا صريح في نفي الرؤية . والله اعلم<sup>(١)</sup>.

و اختلف الصحابة، هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ؟ أم لا ؟ ، ثم اختلف من أثبت الرؤية هل رآه بأمر عينيه ؟ أم رآه بقلبه ؟

فريق أثبتوا الرؤية القلبية ؛ منهم ابن عباس رضي الله عنه وفريق آخر نفوا الرؤية ؛ منهم عائشة رضي الله عنها .

قال ابن حجر : " وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب .

ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على الدوام<sup>(٢)</sup>.

لكن حديث ابن عباس الذي أخرجه أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( رأيت ربي عز وجل ))<sup>(٣)</sup>، عمدة من أثبت الرؤية .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٤ ط الأولى .

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٦٠٨ .

(٣) ذكره الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٤٦٠ وقال عنه : صحيح .



قال ابن القيم : وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له، إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا - يعني ابن تيمية - يقول : ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: أنه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل، ولم يقل بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما...<sup>(١)</sup>.

ونختم هذا المبحث : بأن رسول الله رأى ربه بقلبه، ورأى حجاب النور بعيني رأسه .

### الفصل الثالث: الله يخرج عباده من الظلمات إلى النور

قال تعالى : ﴿لِلَّهِ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا ءُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبيل السلام ، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم

(١) اجتماع الجيوش ص ٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٧ .

ويجيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات، لأن الحق واحد،  
والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ  
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ <sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ  
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ <sup>(٣)</sup>، إلى غير  
ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق، وانتشار الباطل  
وتفرقه وتشعبه <sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ <sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: أي: من لم يهده فهو هالك جاهل حائر بائر  
كافر، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ <sup>(٦)</sup>، وهذا  
مُقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فنسأل  
الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً، وعن أيماننا نوراً، وعن شمائلنا

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١ .

(٣) سورة النحل، الآية ٤٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢ .

(٥) سورة النور، الآية ٤٠ .

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٨٦ .

نوراً، وأن يعظم لنا نوراً<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم ، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ...<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير : أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به. والنور : القرآن، كما رواه العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال السدي : الإسلام . والكل صحيح<sup>(٥)</sup>.

الفصل الرابع : جعل في كتبه نوراً

١ - جعل في كتابه القرآن نوراً .

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٤٢٨ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٢ .

قال تعالى : ﴿ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : أي : القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس...<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير : يقول تعالى : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ۝ ﴾ .

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٨ .

(٤) سورة الصف، الآية ٨ .

(٥) سورة التوبة، الآية ٣٢ .

أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لابد أن يتم ويظهر، ولهذا قال مقابلاهم فيما راموه وأرادوه : ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو القرآن .

وقال تعالى: ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، وهو القرآن .

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾<sup>(٤)</sup>، وهو القرآن .

قال ابن القيم : وجعل كتابه نوراً،.. ودينه نوراً...<sup>(٥)</sup> .  
ومما سبق يتضح أن الله سمى كتابه نوراً، وسمى دينه نوراً . لما يشتمل عليه النور من الهدى والحق والصواب، والتوفيق والطهر والنقاء والصفاء ...

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٧٨ .

(٢) سورة التغابن، الآية ٨ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٧٤ .

(٤) سورة الشورى، الآية ٥٢ .

(٥) اجتماع الجيوش ص ٦ .

٢- جعل في كتابه التوراة نوراً

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا  
الْيَتِيمُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا  
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا  
تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْكَافِرُونَ ﴿١﴾

قال ابن كثير : مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران (٢) ...

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۚ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ (٣).

قال ابن كثير : ... أي : قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ يعني التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى ابن عمران نوراً وهدى للناس، أي: ليستضاء بها في كشف

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤ .

(۲) تفسیر ابن کثیر ج ۳ ص ۱۰۹ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩١ .

المشكلات ، ويهتدى بها من ظلم الشبهات <sup>(١)</sup>.

وبهذا نعلم أن كتب الله كلها جعل الله فيها نوراً، وهداية  
للأنبياء وأتباعهم، ولكل الأمم، بل لكل البشرية لمن أراد أن يسير  
على صراط مستقيم لا عوج فيه .

٣- جعل في كتابه الإنجيل نوراً

قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا  
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا  
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : يقول تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ أي : أتبعنا ﴿ عَلَىٰ  
ءَاثَرِهِم ﴾ يعني: أنبياء بني إسرائيل ﴿ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا  
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ أي : مؤمناً بها حاكماً بما فيها ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ  
الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ أي : هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في  
إزالة الشبهات وحل المشكلات... <sup>(٣)</sup>.

والإنجيل فيه نور مثل التوراة، ومثل القرآن وكل كتب الله  
فيها نور؛ لأنها من عند النور، ومن تسمى بالنور .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١١٨ .

الفصل الخامس : سعى الله رسوله (السراج المنير)

وأمره بإخراج الناس من الظلمات إلى النور

قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

قال ابن كثير : أي: إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب، لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد (٢) ..

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

قال ابن كثير: أي: من ظلمات الجهل والكفر، والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان (٤).

وقال تعالى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (٥).

(١) سورة إبراهيم، الآية ١ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٦ .

(٣) سورة الحديد، الآية ٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٣٦ .

(٥) سورة الطلاق، الآية ١١ .



قال ابن كثير : أي : من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمي الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً؛ لما يحصل به من الهدى، كما سماه روحاً؛ لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) (٢).

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣) ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٤).

قال ابن القيم : وقد سماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً .

والمنير: هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج، فإن فيه نوع إحراق وتوهج (٤).

إنه أنار وفتح عيوناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فيستحق أن يكون من أسمائه [ السراج المنير ] .

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨٢ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥، ٤٦ .

(٤) زاد المعاد ج ١ ص ٩٧ .

## الفصل السادس: النبي سأل الله أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً

أخرج البخاري بسنده من حديث ابن عباس... وكان يقول في دعائه : (( اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً ))<sup>(١)</sup>.  
وزاد مسلم (( واجعل في لساني نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، اللهم أعطني نوراً )) .

وفي رواية عند مسلم شك الراوي فقال : (( واجعل لي نوراً )) أو قال : (( اجعلني نوراً ))<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر : قال القرطبي : هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن حملها على ظاهرها فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً يستضيء به يوم القيامة في تلك الظلم هو ومن تبعه أو من شاء الله منهم... .  
ثم قال ابن حجر: والتحقيق في معناه أن النور مظهر ما نسب

(١) صحيح البخاري ، الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه من الليل حديث رقم ٦٣١٦ ( فتح الباري ج ١١ ص ١١٦ ) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل ج ١ ص ٥٢٥-٥٣٠ .

النور ————— د. مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي

إليه، وهو يختلف بحسبه : فنور السمع مظهر للمسموعات، ونور البصر كاشف للمبصرات، ونور القلب كاشف للمعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات .

وقال الطيبي : معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات، ويتعزى عما عداهما <sup>(١)</sup>...

وأخرج أحمد بسنده من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه، وحزنه، وأبدله الله مكانه فرحاً، قال : فقيل : يا رسول الله ألا نتعلمها ؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها )) <sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر (فتح الباري ج ١١ ص ١١٨) .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٣٩١ ، والأذكار للنووي ص ١٠٤ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٣٣٤ من حديث أبي موسى وقال المحقق : وحديث ابن مسعود أثبت منه سنداً وأشهر رجالاً ، وهو حديث حسن ، وقد صححه بعض الأئمة .

## الفصل السابع : جعل دار أوليائه نوراً

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ<sup>ط</sup>  
وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ<sup>ط</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِءَايَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ<sup>١</sup>﴾.

قال ابن كثير : أي : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم  
يسعى بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار  
الدنيا من الأعمال...<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم بسنده من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن المقسطين عند الله على  
منابر من نور . عن يمين الرحمن عز وجل . وكلتا يديه يمين؛ الذين  
يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا ))<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الترمذي بسنده من حديث معاذ بن جبل قال : سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( قال الله عز وجل: [ المتحابون  
في جلالتي، لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء ] )) قال

(١) سورة الحديد، الآية ١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام ، حديث رقم ١٨ ج ٣  
ص ١٤٥٨ .

أبو عيسى : حديث حسن صحيح <sup>(١)</sup>.

نعم هي نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبدأ، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية .

ومما سبق يتضح من أوصاف الجنة أنها (( نور )) وهو لاشك من نور الله الذي أشرقت له السماوات والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : أي : أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء <sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي : قال العلماء : ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم أبدأ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي <sup>(٤)</sup>.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في الحب في الله، ج ٤ ص ٥٩٨ حديث رقم ٢٣٩٠ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٠٨ .

(٤) التذكرة للقرطبي ص ٥٠٤ ، وانظر الجنة والنار للأشقر ص ١٧٤ .

قال ابن تيمية : والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش<sup>(١)</sup>.  
والجنة نور يتلأأ، وليس فيها شمس ولا قمر، فما هو هذا النور ؟ إنه نور الله، بل إن أعظم نعيم في الجنة هو النظر إلى وجه الله العظيم، وهو نور، واسمه النور، وصفته النور، ودينه نور، ونبيه نور، وجنته نور، وبنوره يستضيء أولياؤه يوم القيامة... .

فإذا كان أعظم نعيم في الجنة هو رؤية وجهه الذي يزداد به الناظر والرائي حسناً وجمالاً ونوراً وبهاءً، فلا بد أن تكون داره التي أعدها لأوليائه؛ نوراً على نور، حتى تكون أعظم في النعيم، وكيف يكون نعيم من دون نور وحبور، وضياء ؟، وهذا وغيره بفضل الله ومنه وكرمه تزداد الجنة به ضياءً وبهجة ونوراً؛ نسأل الله من فضله العظيم .

### الفصل الثامن : جعل نوره لأوليائه في الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُدٍ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ

(١) مجموع الفتاوى ج ٤ ص ٣١٢ ، وانظر الجنة والنار للأشقر ص ١٧٤ .

مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿٢٠﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَانُكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين : أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم يعمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة ) .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (( من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه ))<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين، فقالوا : ربنا أتمم لنا نورنا .

(١) سورة الحديد، الآيات ١٢ - ١٥ .

(٢) تفسير الطبري ج ٢٧ ص ١٢٨ .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم  
القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور  
الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر  
الله، وترك ما عنه زجر<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ .

أي : نستضيء من نوركم .. قال المفسرون : يعطي الله  
المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط،  
ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم؛ دليله ﴿ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾،  
وقيل : إنما يعطون النور؛ لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم  
يسلب المنافق نوره لنفاقه؛ قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير : أي : لهم عند ربهم أجر جزيل، ونور عظيم  
يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدنيا  
من الأعمال<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٢٤٥ .

(٣) سورة الحديد، الآية ١٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٩ .



وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: أي: من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا مقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً، وعن أيماننا نوراً، وعن شمائلنا نوراً، وأن يعظم لنا نوراً<sup>(٤)</sup>.

و قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ

(١) سورة التحريم، الآية ٨ .

(٢) سورة النور، الآية ٤٠ .

(٣) سورة الأعراف، ١٨٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٧٧ .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

قال ابن كثير : قال أبي بن كعب : هو المؤمن الذي قد جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به قال فكان أبي بن كعب يقرأها: (( مثل نور من آمن به ))، فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره، ثم قال الطبري : وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى الله طاعته نوراً، ثم سماها أنواراً شتى، قال أبي بن كعب: المصباح : النور، وهو القرآن والإيمان الذي في صدره (٢).

وقوله : ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره، كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن عبد الله ابن عمرو، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (( إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم نوره يومئذ، فمن أصاب يومئذ من نوره اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول : جف القلم على علم الله عز وجل )) (٣).

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ

(١) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٢) تفسير الطبري ج ١٨ ص ١٠٣ - ١٠٧، البحر المحيط ج ٦ ص ٤٥٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٦٠، أحمد ١٧٦/٢ .

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

قال ابن كثير : قال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب  
بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة،  
﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي : ضعفين، وزادهم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾  
يعني: هدى يُتبصر به من العمى والجهالة، ويغفر لكم، ففضلهم  
بالنور والمغفرة (٢).

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله، وكعب بن مالك  
قال: يحشر الناس يوم القيامة على تل، فأكون أنا وأمتي على تل،  
فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد . الأول فالأول . ثم يأتينا ربنا  
بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا . فيقول : أنا  
ربكم . فيقولون : حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم يضحك . قال :  
فينطلق بهم ويتبعونه . ويُعطى كلُّ إنسان منهم ، منافق أو مؤمن، نوراً  
ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك . تأخذ من شاء الله .  
ثم يطفأ نور المنافقين . ثم ينجو المؤمنون ... )) (٣) الحديث .

(١) سورة الحديد، الآية ٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٥٧ ، وعزاه إلى الطبري في تفسيره ج ٢٧ ص  
١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، ج ١ ص  
١٧٨ رقم ٣١٦ .

## الفصل التاسع : خلق الله النور يوم الأربعاء وخلق الله الملائكة من نور

أخرج مسلم بسنده من حديث أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : (( خلق الله - عز وجل - التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ... ))<sup>(١)</sup> الحديث .

وأخرج مسلم بسنده من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من ما رج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ))<sup>(٢)</sup> .

وخلقهم الله سبحانه وتعالى على صورة جميلة كريمة كما قال تعالى في جبريل : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾<sup>(٣)</sup> . قال ابن عباس : ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو منظر حسن ، وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن . وقيل : ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ : ذو قوة . ولا منافاة بين القولين ، فهو قوي وحسن المنظر .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب ابتداء الخلق ، ج ٤ ص ٢١٤٩ رقم الحديث ٢٧ .

(٢) صحيح مسلم ، الزهد ، باب في أحاديث متفرقة رقم الحديث ٦٠ ، ج ٤ ص ٢٢٩٤ .

(٣) سورة النجم ، الآيتان ٥ ، ٦ .

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في حق يوسف الصديق عندما رأيته: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

ونختم أنه سبحانه خصص يوماً من الأيام وهو يوم الأربعاء لخلق النور، وما ذاك إلا لأهميته، ومكانته ثم إن من أعظم مخلوقاته ملائكته، الموكلين بالمهام العظام، خلقهم من نور؛ فكانوا أجمل ما يكون وأقوى ما يكون، وأعظم ما يكون في خلقهم ... .

### الفصل العاشر : الناس قسمان :

١ - أهل النور                      ٢ - أهل الظلام

أما القسم الأول [ أهل النور ] ففيه قوله تعالى: ﴿ \* اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يوسف، الآية ٣١ .

(٢) عالم الملائكة الأبرار للدكتور / عمر بن سليمان الأشقر ص ١٢ ط الخامسة

(٣) سورة النور، الآية ٣٥ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ))<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية : ثم إن الله تعالى ضرب مثل نوره الذي في قلوب المؤمنين بالنور الذي في المصباح، وهو في نفسه نور، وهو منور لغيره، فإذا كان نوره في القلوب هو نور، وهو منور، فهو في نفسه أحق بذلك، وقد علم أن كل ما هو نور فهو منور<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: المشكاة: الكوة التي لا منفذ لها...، والمصباح: النور، وهو القرآن الذي في صدره والمصباح في زجاجة: أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية...، كوكب دري: أي: مضيء مبين ضخم...، نور على نور: أي: نور النار ونور الزيت، وقيل : فهو يتقلب في خمسة من النور: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة، وقيل: نور النار ونور الزيت، حين اجتماعا أضواء، ولا يضيء واحد بغير صاحبه

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ج ٥ ص ٢٦ رقم ٢٦٤٢، ثم قال أبو عيسى : هذا حديث حسن، وقال المبارك فوري : وأخرجه أحمد والحاكم وصححه ابن حبان، في تحفة الأحوذى ج ٧ ص ٤٠١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٩٢ .

كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي : يرشد إلى هدايته من يختاره <sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم : فإن الناس قسمان : أهل الهدى والبصائر، الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى، وأن كل ما عارضه فشبهاث يشبهه على من قل نصيبه من العقل والسمع أمرها فيظنها شيئا له حاصل ينتفع به وهي: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٤﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي خَرِّ لَيْلٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِّ يَرْنَهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٦٥﴾﴾ <sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق، أصحاب العلم النافع والعمل الصالح، الذين صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أخباره ولم يعارضوها بالشبهات، وأطاعوه في أوامره، ولم يضيعوها بالشبهات، فلا

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٦٤ .

(٢) سورة النور، الآيتان ٣٩، ٤٠ .

هم في علمهم من أهل الخوض الخراصين الذين هم في غمرة ساهون، ولا هم في عملهم من المستمتعين بخلاقهم، الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون، أضاء لهم نور الوحي المبين، فرأوا في نوره أهل الظلمات في ظلمات آرائهم يعمهون، وفي ضلالتهم يتهوكون، وفي رييهم يترددون، مغترين بظاهر السراب، محلين بمجدين مما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الحكمة وفصل الخطاب، إن عندهم إلا نخالة الأفكار، وزبالة الأذهان، التي قد رضوا بها، واطمأنوا إليها، وقدموها على السنة والقرآن، إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه، أوجبهم لهم اتباع الهوى، ونخوة الشيطان، وهم لأجله يجادلون في آيات الله بغير سلطان<sup>(١)</sup>.

وأما القسم الثاني [ أهل الظلام ] فقال ابن القيم رحمه الله فيهم : أهل الجهل والظلم، الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء قسمان: أحدهما : الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل الجهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب، الذين يجهلون الحق ويعادونه، ويعادون أهله وينصرون الباطل، ويوالون أهله، وهم

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ٩ .

(٢) سورة النجم، الآية ٢٣ .



يحسبون أنهم على شيء، إلا أنهم هم الكاذبون، فهم لا اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائئ السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه..<sup>(١)</sup> .  
ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو حال من أم السراب فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين سبحانه وتعالى، فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباء منثوراً، إذ لم يكن خالصاً لوجهه، ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباءً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه حشرات عليه، والسراب : ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري، والقيعة والقاع : هو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه، ولا فيه واد، فشبه علوم من لم يأخذ علومه من الوحي، وأعماله؛ بسراب يراه المسافر في شدة الحر فيؤمه فيخيب ظنه، ويجده ناراً تلظى .

فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم؛ إذا حشر الناس، واشتد

---

(١) اجتماع الجيوش ص ١٠ .

بهم العطش بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء، فإذا أتوه وجدوا الله عنده فأخذتهم زبانية العذاب فعتلوهم إلى نار الجحيم، فسقوا ماءً حميمًا، فقطع أمعاءهم، وذلك الماء الذي سقوه؛ هو تلك العلوم التي لا تنفع، والأعمال التي كانت لغير الله تعالى، صيرها الله تعالى حميمًا سقاهاهم إياه، كما أن طعامهم لا يسمن ولا يغني من جوع، وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في الدنيا كذلك لا يسمن ولا يغني من جوع وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٢).

وهم الذين عني بقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٣)، وهم الذين عني بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٤).

والقسم الثاني من هذا الصنف أصحاب الظلمات : وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضل سبيلا ، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة؛ بل بمجرد التقليد، واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى،

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٧ .

كظلمات : جمع ظلمة ؛ وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور...<sup>(١)</sup>.

فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من الهدى ودين الحق؛ يتقلب في خمس ظلمات : قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة، وقلبه ظلمة، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من النور؛ جد في الهروب منه وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به أنسب وأولى كما قيل :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم  
فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان جال وصال وأبدى  
وأعاد وقعقع وفرقع...، فإذا طلع نور الوحي وشمس الرسالة؛ انحجر  
في جحرة الحشرات، وقوله في بحر لجي، واللحي : العميق . منسوب  
إلى لجة البحر، وهو معظمه، وقوله تعالى: ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ  
مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) اجتماع الجيوش ص ١٠ .

(٢) سورة النور، الآية ٤٠ .

تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه فشبه تلاطم أمواج الشبه والباطل في صدره بتلاطم أمواج بعضها فوق بعض، والضمير الأول في قوله: ﴿يَغْشَاهُ﴾ راجع إلى البحر، والضمير الثاني في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ عائد إلى الموج، ثم إن تلك الأمواج مغطاة بسحاب، فهاهنا ظلمات؛ ظلمة البحر اللحي، وظلمة الموج الذي من فوقه موج، وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله، إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكدرها... .

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلاً آخر مائياً فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِيَ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝﴾<sup>(١)</sup>. فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من النور والحياة بنصيب المستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها وذهب نوره وبقي في الظلمات حائراً تائهاً، لا يهتدي سبيلاً، ولا يعرف طريقاً، وبنصيب أصحاب الصيب، وهو المطر الذي يصب، أي: ينزل من علو إلى أسفل، فشبه الهدى الذي هدى به عباده؛ بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدى؛ بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له فيما وراء ذلك مما هو

(١) سورة البقرة، الآية ١٩ .

المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب <sup>(١)</sup>.

### الفصل الحادي عشر : الصلاة نور

أخرج مسلم بسنده من حديث أبي مالك الأشعري قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ،  
والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ( أو تملأ )  
ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ،  
والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع  
نفسه فمعتقها أو موبقها )) <sup>(٢)</sup>.

قال النووي : وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (( الصلاة  
نور )) فمعناه : أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر ،  
وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به .

وقيل معناه : انه يكون أجراها نوراً لصاحبها يوم القيامة .  
وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانسراح القلب ،  
ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها ، وإقباله إلى الله تعالى بظاهره  
وباطنه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) اجتماع الجيوش لابن القيم ص ١١ ، ١٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ج ١ ص ٢٠٣ رقم  
٢٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، ٤٥ .

وقيل : معناه أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضاً على وجهه البهاء، بخلاف من لم يصل والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وأخرج أبو داود، والترمذي من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة )) وقال الترمذي : حديث غريب<sup>(٢)</sup>.

قال المبارك فوري : ((بالنور التام)) الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط، لما قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل جوزوا بنور يضيء لهم ويحيطهم...<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الدارمي بسنده من حديث أبي الدرداء، عن النبي

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٠١ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل الصف الأول ، ج ١ ص ٤٣٧ رقم ٢٢٥ ، سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم ج ١ ص ١٥٤ رقم ٥٦١ ، وذكره المنذري في الترغيب ج ١ ص ١٧٨ ، ٢٢٠ رقم ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ثم قال : قال الحافظ عبد العظيم : ورجال إسناده ثقات ، ورواه ابن ماجه ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء في الكبير بإسناد حسن ، ولابن حبان في صحيحه نحوه... ، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٨٢٠ ثم قال : صحيح .

(٣) تحفة الأحوذى ج ٢ ص ١٤ ط الثالثة .

صلى الله عليه وسلم قال : (( من مشى في ظلمة ليل إلى صلاة،  
آتاه الله نوراً يوم القيامة )) .

ثم قال المحقق : رواه أيضاً: الطبراني في الكبير بإسناد حسن،  
وابن حبان في صحيحه بنحوه <sup>(١)</sup> .

وأخرج الدارمي أيضاً بسنده من حديث عبد الله بن عمرو،  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : (( من  
حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة من النار يوم القيامة،  
ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا نجاة ولا برهاناً، وكان يوم  
القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف )) .

ثم قال المحقق: رواه أيضاً الطبراني في الكبير والأوسط،  
وأحمد، ورجاله ثقات <sup>(٢)</sup> .

إن الصلاة أعظم شعائر الإسلام، بل هي الركن الركين، والصلة  
بين العبد وربّه، ولذلك جعلها الله نوراً يستضاء به في دياجير الظلم،  
تنير للمسلم الطريق المستقيم، وتهديه إلى سواء الصراط القويم، إنها  
تنهى المؤمن عن الفحشاء والمنكر؛ لأنها نور، من قبلت منه الصلاة؛  
قبلت منه سائر العبادات، لأنها نور، النور يستضاء به، والصلاة

---

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٢٧٠ رقم الحديث ١٤٢٩، كتاب الصلاة، باب  
فضل المشي إلى المساجد في الظلم .

(٢) سنن الدارمي ج ٢ ص ٢١١ رقم الحديث ٢٧٢٤ .

يستضاء بها لأنها نور، أجرها للمؤمن نور يوم القيامة، الصلاة تنور قلب صاحبها حتى يقبل على الله باطناً وظاهراً، الصلاة يستعين بها صاحبها على سلوك طريق الهدى، كما يستعين صاحب النور بالنور في الظلمات، من أقام الصلاة يظهر على وجهه نور، وتكون له يوم القيامة نوراً، ومن يمشي إلى الصلاة في الظلم في الدنيا، يعطى نوراً تاماً يوم القيامة يحيط به من كل جانب، ويضيء له طريقه إلى الجنة .

وفي الختام أسأل الله أن يمدنا بنور من نوره، الحمد لله نور السماوات والأرض الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خير البشرية الذي أنار الله به قلوب عباده؛ فساروا على نور من الله .

وفي الختام أسأل الله أن يجعل في قلوبنا نوراً، وفي أبصارنا نوراً، وفي أسماعنا نوراً، وأن يجعل لنا نوراً، وأن يعظم لنا نوراً، وأن يجعلنا نوراً . والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .